

آليات التماسك النصي (السبك أنموذجاً) في خطبة "ذم الدنيا" للإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه

ماجد محمد عيد البحرات *

ملخص

بحثت هذه الدراسة آليات التماسك النصي (السبك أنموذجاً) في إحدى خطب الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في "ذم الدنيا". وجاءت في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة ملاحظ. أشارت المقدمة إلى دافع الدراسة، وأهميتها، وإشكالياتها، ومنهجها، والدراسات السابقة التي عرضت لها. وعرض التمهيد لمفهوم السبك النحوي والمجمعي. وتناول الملاحظ الأول الإحالة بنوعها (المقامية/ النصية) ودورها في تماسك أجزاء النص. وخصص الملاحظ الثاني لحرف العطف (الواو) ودوره في ربط جمل النص بعضها ببعض. وأما الملاحظ الثالث فعالج الحذف؛ جماليته ودلالته ودوره في تماسك النص. وخلصت إلى أن هذه الخطبة تمتاز بالسبك والتناغم الأجزاء.

الكلمات الدالة: السبك - ذم الدنيا - علي بن أبي طالب - الإحالة - العطف - الحذف.

المقدمة

يعد الإمام علي رضي الله عنه - إماماً من أئمة الخطابة في صدر الإسلام، ورأساً من رؤوسها، يشار إليه بالبنان؛ إذ بلغ منزلة سامقة في البلاغة قصر عن شأوه البلاء والفصحاء، فلم يجاره في ميدانها، سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم - الذي أوتي جوامع العلم. فكانت الخطابة لديه رضي الله عنه - منبثقة من تجاربه الشخصية التي خاض غمارها، وكذا ثقافته التي تربي عليها في بيت النبوة؛ لذا فقد جمع في خطبه: روائع البيان، والمنطق القوي، والحجة الدامغة، والالفاظ العذبة، والمعاني العميقة، والأسلوب المؤثر الذي خاطب به القلوب والعقول معاً، فكان أسلوبه تنزيلاً من التنزيل.

ولعل هذا ما دفعني إلى تناول خطبة من خطبه لمعالجتها في ضوء لسانيات النص، أو علم النص، مبرزاً وسائل السبك المشار إليها لاحقاً في تماسك الخطبة وانسجامها، ومن ثم تأثيرها في المتلقين. وقد نبعت أهمية الدراسة من كون الخطبة لم تدرس -في حدود إطلاع الباحث- دراسة نصية جلّت أهمية آليات التماسك النصي في ترابط أجزاء الخطبة وتناغمها، وهو ما هدف إليه الباحث وتغيّاه في نهاية المطاف من هذه الدراسة، وذلك من خلال الإشكالية الافتراضية والمتمثلة في: ما مدى توافر آليات التماسك النصي في هذه الخطبة؟ وهل حققت هذه الآليات تماسك الخطبة أم لا؟

وأما المنهج الذي اتخذه الباحث للوصول إلى مبتغاه، فهو المنهج النصي، مع الاستعانة بالمنهج التحليلي عند الحاجة. وأما الدراسات السابقة التي خصصت لهذه الخطبة فلم يجد الباحث -في حدود علمه- أي دراسة عالجت هذه الخطبة سوى دراسة للباحث فضيلة عبوسي محسن العامري، والموسومة بـ "خطبة ذم الدنيا للإمام علي (ع) دراسة تحليلية أسلوبية"، حيث لم يتمكن من العثور عليها، وثمة دراسات أخرى في إطار موضوع الباحث أفاد منها، ورصدها في قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد:

يعد مصطلح التماسك النصي من النتاجات التي أفرزها الفكر الغربي، وقد شكل مفصلاً رئيساً من مفاصل الدراسات النصية التي اعتمدتها لسانيات النص لاسيما نحو النص في دراسة النصوص اللغوية؛ إذ يُعنى في البحث عن الروابط اللغوية وغير اللغوية التي ينهض عليها النص. وقد تجاوزت لسانيات النص حدود الجملة؛ أي "أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر" (أنيس، 1978). إلى النظرة الكلية إلى النص؛ في أبسط تعريفاته على أنه تتابع مترابط من الجمل (بحيري، 1997)، وتجاوز حدود الجملة إلى النظرة الكلية، الذي يشكل بنية لغوية كلية، يفسح المجال أمام

* الجامعة الأردنية. تاريخ استلام البحث 2018/5/28، وتاريخ قبوله 2019/3/6.

المتلقي للحكم على النصّ بالجودة والحسن، أو الرداءة وعدم القبول، أو التمييز بين النصّ واللانص. ولا شكّ في أنّ ثمة عوامل وعناصر داخل بُنى النصّ تجعل منه نصّاً متماسكاً، متشابكاً العرى، موحد الأجزاء، مترابط الأطراف، تأخذ الفقرات بعضها بأطراف البعض، وتتوالى؛ لتكوّن أجزاء النصّ؛ ولذلك ينبغي أن يكون الكلام "مشتبهاً أولاً بأخوه، ومطابقاً هاديه لعجزه، ولا تتخالف أطرافه، ولا تتنافر أطرافه، وتكون الكلمة منه موضوعة مع أختها، ومقرونة بلفقها (العسكري، 1005)" و"خير الكلام المحبوك المسبوك، الذي يأخذ بعضه برقاب بعض (ابن منقذ، 584هـ)". وينبغي الانطلاق من النصّ بصفته الوحدة الكبرى إلى البحث عن آليات ترابط أجزائه، والوسائل الشكلية والمعنوية التي وفّرت له الانسجام والالتزام، التي تجعل الحدود الفاصلة بين النصّ واللانص جلية وواضحة.

وقد حدّد دي بوجراند (ROB RTDE BEAUGRANDE) في كتابه النصّ والخطاب والإجراء (DISCOURSE, TEXT, AND PROCESS)، الذي نشر عام 1980، المعايير التي يكون بها الكلام نصّاً، ثمّ عاد - مرة أخرى - إلى تقديم هذه المعايير مع زميله ولغفانغ دريسلر (WOLFGANG DRESSLER) في كتابهما مدخل إلى علم لغة النصّ (INTRODUCTION TO TEXT LINGUISTICS) الذي نشر عام 1981. وهذه المعايير، ومنها:

1- السبّك النحوي (COHESION):

السبّك/ الربط/ التضام، وهو "معيّار يهتم بظاهر النصّ، ودراسة الوسائل التي تتحقّق بها خاصية الاستمرار اللفظي (عفيفي، 2001)". وهو "يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق، بحيث يتحقّق لها الترابط الرصفي (دي بوجراند، 1998)"، والمقصود بظاهر النصّ تلك الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، التي نخطها أو نراها، وهذه الأحداث أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعاً للمباني النحوية، ولكنها لا تشكل نصّاً إلا إذا تحقّق لها من وسائل السبّك ما يجعل النصّ مختلفاً بكيونته واستمراريته (مصلوح، 1991). ويتحقّق هذا المعيار عند بوجراند بوساطة الترابط الرصفي القائم على النحو في بنيته السطحية، حيث التكرار، والحذف، والألفاظ الكنائية، والإحالات، والروابط، والجمل والتراكيب (دي بوجراند، 1998)، أي الكيفية التي يتم بها ربط العناصر اللغوية ربطاً نحوياً، بحيث يؤدي السابق منها إلى اللاحق (مصلوح، 1991). وينشأ ذلك عن طريق الأدوات التي تظهر في النصّ مباشرة، مثل: أدوات العطف، والوصل والفصل، والترقيم، وأسماء الإشارة، وأدوات التعريف، والأسماء الموصولة، وأبنية الحال وأسماء الزمان والمكان، وغير ذلك من العناصر الرابطة التي يُعنى علم اللغة بتحديددها (فضل، 1992).

وقد قسم هاليداي ورقية حسن (HALLIDAY & RUQAIA HASSAN) في كتابهما (COHESION IN ENGLISH) السبّك إلى قسمين: 1- السبّك النحوي، والمتمثّل بالأدوات النحوية التي سبقت الإشارة إليها؛ كالعطف، والوصل، وأسماء الإشارة... إلخ. وقد أوضح محمد خطابي أدوات السبّك النحوي كما جاءت عند هاليداي ورقية، ومنها:

أ. الإحالة النصّية داخل النصّ (ENDOPHERIC REFERENCE)؛

وتتم بوساطة الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة. وتتفرّع إلى: إحالة قبلية، حيث يشير العنصر المحيل إلى عنصر آخر متقدّم عليه، وهي الأكثر شيوعاً. وإحالة بعدية، وفيها يشير العنصر المحيل إلى عنصر آخر يلحقه (خطابي، 1991). وإحالة مقامية خارج النصّ (REFERENCE EXOPHERIC)؛ أي الإحالة إلى السياق الخارجي، وتسهم في خلق النصّ؛ لكونها تربط اللغة بسياق المقام، إلا أنها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر، بينما تقوم الإحالة النصّية في اتساق النصّ وترابط أجزائه بصورة مباشرة (خطابي، 1991).

ب. الحذف (ELLIPSIS):

وهو علاقة داخل النصّ، وفي معظم الأمثلة التي يقع فيها الحذف، يُلاحظ أنّ العنصر المحذوف، يرتبط عادة بعلاقة قبلية مع العناصر اللغوية التي تسبقه. والحذف كعلاقة اتساق لا يختلف عن الاستبدال، إلّا بكون الأول استبدال بالصفّر (SUBSTITUTION BY ZERO)؛ أي أنّ علاقة الاستبدال تترك أثراً، وأثرها وجود أحد عناصر الاستبدال، بينما علاقة الحذف لا تخلف أثراً (خطابي، 1991). والحذف ظاهرة لغوية يشترك في معالجتها: النحو والبلاغة والأسلوبية، وهو انزياح أسلوبية ينزاح عن مستوى التعبير العادي إلى اللغة العليا التي تنسم بالإيجاز والتكثيف والشعرية، وهو من الأساليب اللغوية عالية المستوى التي تتنشط ذهنيّة المتلقي من خلال البحث عن العنصر المضمّر، وملئه في الفراغ البنائي في النصّ بالاعتماد على ما يدور في النصّ، وليس رجماً بالغيب.

2- السبك المعجمي (LEXICAL COHESION):

وهو المظهر الآخر من مظاهر اتساق النصّ وسبكه، وهو غير السبك النحوي، الذي يعتمد على الروابط النحوية، وينقسم في نظر هاليداي ورقيه إلى نوعين:

- أ. التكرير/ التكرار (REITERATION)؛ وهو شكل من أشكال الاتساق المعجمي، وأكثرها شيوعاً، ويتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له، أو شبه مرادف، أو عنصراً مطلقاً، أو اسماً عاماً (خطابي، 1991).
 - ب. التضام/ المصاحبة المعجمية (COLLOCATION أو COHESION)؛ أي التضام المعجمي تمييزاً له عن التضام النحوي؛ وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة؛ نظراً لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك (عبد المجيد، 1998).
- ويمكن إضافة نوع ثالث من أنواع السبك؛ وهو السبك الصوتي. وقد أشار إليه بوجراند ودريسلر في كتابهما "مدخل إلى علم لغة النصّ" (INTRODUCTION TO TEXT LINGUISTICS) الذي صدر عام (1981) عند حديثهما عن مصطلح "التنغيم/ INTONATION"، الذي لا يتيسر إلا في النصوص المنطوقة، وهو النمط المألوف في اللغة الإنجليزية دون غيره من الوسائل الصوتية الأخرى؛ وهو التنغيم الصاعد عند نهايات التراكيب والجمل، ويتميز بوجه خاص ببلوغ الذروة عند التعبير النهائي الذي يحمل المحتوى المهم (فراج، 2007).

وفي لغتنا العربية ثمة وسائل صوتية سوى التنغيم تؤدي دوراً فاعلاً في سبك النصّ والتحام أجزائه، أدرجها العلماء القدامى والمحدثون ضمن علم البديع (خلوصي، 1977) وهي: السجع، والجناس، وغيرهما وهاتان التقنيتان مقصودتان على اللغة العربية ففي البديع بُعد موسيقي وصوتي يسهم في عملية تماسك النصّ، وكذلك أشار علماء العروض القدامى والمحدثون إلى مكانة الوزن والقافية ودورهما في سبك النصّ والتحام عناصره (ابن أبي طالب، 2004).

ويتبدى مما سبق أنّ التماسك النصّي ثمرة من ثمرات الاتجاهات الحديثة في معالجة النصوص الأدبية، وقد تبلور في الربع الأخير من القرن العشرين، على يد هاليداي ورقية حسن، ومن هنا نحوها في المجال الأسنوي، وأنّ السبك يولي اهتمامه بالدلالات المنظورة أو الشكلية.

وتأسيساً على ما سبق سيعالج الباحث آليات التماسك النصّي في خطبة من خطب الإمام علي - كرم الله وجهه - في ذم الدنيا. وسيتوقف عند: الإحالة (المقامية/ النصّية)، والعطف، والحذف، مجلياً دورها في تماسك الخطبة والتحام أجزائها. يقول علي - رضي الله عنه (ابن أبي طالب، 2004). وأحذركم الدنيا فإنّها منزل قُلعة⁽¹⁾ وليست بدار نُجعة⁽²⁾ قد تزيّنت بغرورها، وغرّت بزينتها. دارها هانت على ربّها، فخلط حلالها بحرامها، وخبرها بشرّها، وحياتها بموتها، وحلوها بمرّها. لم يُصِفها الله تعالى لأوليائه، ولم يرضَ بها على أعدائه. خيرها زهيد وشرّها عتيد⁽³⁾ وجمعها ينفد، وملكها يُسلب، وعامرّها يخرّب. فما خير دار تُنقض نقض البناء، وعُمُر يفنى فيها فناء الزاد، ومدة تنقطع انقطاع السيّر! اجعلوا ما افترض الله عليكم من طلبكم، واسألوه من أداء حقه ما سألكم.

واسمعوا دعوة الموت أذانكم قبل أن يدعى بكم. إنّ الزاهدين في الدنيا تبكي قلوبهم وإن ضحكوا، وبشتدّ حزنهم وإن فرحوا، ويكثر مقتهم أنفسهم وإن اغتبطوا⁽⁴⁾ بما رزقوا. قد غاب عن قلوبكم ذكر الآجال، وحضرتكم كواذب الآمال، فصارت الدنيا أملك بكم من الآخرة، والعاجلة أذهب بكم من الآجلة، وإنّما أنتم إخوان على دين الله، ما فرّق بينكم إلا حُبّ السرائر، وسوء الضمائر. فلا تَوَارَروا ولا تَنَاصَحُوا، ولا تَبَاذِلُوا ولا تَوَادُّوا. ما بالكم تفرحون باليسير من الدنيا تُدركونه، ولا يحزنكم الكثير من الآخرة تُحرمونه! ويُفْلِكُكم اليسير من الدنيا يفوتكم، حتى يتبيّن ذلك في وجوهكم، وقلة صبركم عمّا رُوي⁽⁵⁾ منها عنكم! كأنّها دار مُقامكم، وكأنّ متاعها باقٍ عليكم. وما يمنع أحدكم أن يستقبل أخاه يخاف من عيبه، إلّا مخافة أن يستقبله بمثله. قد تصافيتم على رفض الآجل وحبّ العاجل، وصار دين أحدكم لُغقه⁽⁶⁾ على لسانه، صنيع من فرغ من عمله، وأحرز رضى سيّده.

(1) قلعة: ليست بمستوطنة.

(2) نجعة: ليست محط الرجال.

(3) عتيد: حاضر.

(4) اغتبطوا: بالبناء للمجهول؛ أي غبطهم غيرهم بما آتاهم الله من الرزق.

(5) روي: من زوّاه: إذا نجاه.

(6) لُغقة: أي الإقرار باللسان مع ركون القلب إلى مخالفته.

الملحظ الأول: الإحالة (REFERENCE)

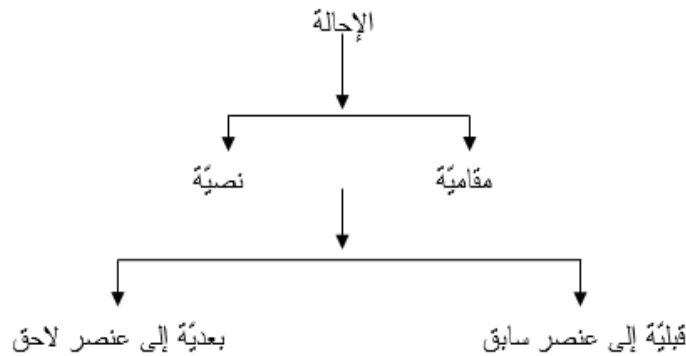
الإحالة؛ وهي: علاقة "بين العبارات من جهة، وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات (دي بوجراند، 1998)" فالعلاقة "القائمة بين الأسماء والمسميات هي علاقة إحالة: فالأسماء تحيل إلى المسميات (بروان، 1997)". وقد تكون "علاقة معنوية بين ألفاظ معينة، وما تشير إليه من أشياء أو معانٍ أو مواقف تدل عليها عبارات أخرى في السياق، أو يدل عليها المقام، وتلك الألفاظ المحيلة تعطي معناها عن طريق قصد المتكلم، مثل: الضمير، واسم الإشارة، واسم الموصول... إلخ. حيث تشير هذه الألفاظ إلى أشياء سابقة أو لاحقة، فُصِّدت عن طريق ألفاظ أخرى أو عبارات أو مواقف لغوية أو غير لغوية. والمتكلم أو الكاتب هو الذي يحمل التعبير دلالة تكشف عن وظيفة إحالية (عفيفي، 2001)".

والإحالة إحدى آليات السبك المهمة في اتساق النص وربط أجزائه بعضها ببعض، بما تخلقه من علاقات معنوية بين العنصر المحيل والمحال إليه، أيًا كانت هذه العلاقات، سواء أكانت هذه العلاقات مباشرة لا تحتاج إلى تأويل تكون داخل النص: أم تأويلية: بحيث يكون وجود المحال إليه غير مباشر داخل النص، ولا بد أن تقضي هذه العلاقات -في حال إحسان توظيفها- إلى الانسجام والتلاحم النصي.

وتنقسم الإحالة إلى ضربين رئيسيين، هما أولاً: الإحالة المقامية، /خارج النص/ خارج اللغة (EXOPHARA)، وهي: "إحالة عنصر لغوي إلى عنصر إشاري غير لغوي، موجود في المقام الخارجي، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد إلى ذات المتكلم، حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي بعنصر غير لغوي هو ذات المتكلم، ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته في تفاصيله، أو مجملاً؛ إذ يمثل كائناً، أو مرجعاً مستقلاً بنفسه (الزناد، 1991)"، أي أن ثمة لفظة/ عنصراً لغوياً/ تشير إلى موجود في الخارج. تسهم في إنتاج النص وسبك نسيجه، كونها تربط اللغة بالسياق المقامي، وهذا الضرب من الإحالة لا يجد فيه المتلقي صعوبة في فك شفرته.

ثانياً: الإحالة النصية/ داخل النص/ داخل اللغة (ENDAPHARA)، وتنقسم إلى قسمين، هما: أ- الإحالة القبلية، أي "استعمال كلمة، أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى، أو عبارة أخرى سابقة في النص، أو المحادثة (عفيفي، 2001). ب- الإحالة البعيدة، أي الإحالة إلى العنصر اللاحق، وأبرز أبواب النحو العربي توضيحاً لها "ضمير الشأن (الفقي، 2000)، والإحالة البعيدة: استعمال كلمة، أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى، أو عبارة أخرى، سوف تستعمل لاحقاً في النص، أو المحادثة (الفقي، 2000). على عكس الأولى، حيث يكون العنصر المفسر بعد العنصر المفسر.

ويمكن تمثيل الإحالة بنوعيتها بالخطاطة الآتية



وقد قسمت أنواع الإحالة على أربعة أنواع، وهي: الضمائر، وأسماء الإشارة، والموصول، وأدوات المقارنة (الفقي، 2000)، والإحالة بالضمائر (REFERENCE FO PRONOUS)، من أبرز آليات التماسك النصي وأهمها، وأكثرها دوراً واستعمالاً في لغتنا العربية؛ لأنها تقرن بين الربط الرصفي، والربط المفهومي؛ أي ما هو معنوي، ويلجأ إلى الضمائر كونها عناصر إحالية تغني عن تكرار الأسماء وإعادتها غير مرة. وتتفرع الضمائر -حسب الحضور والغياب- إلى فرعين كبيرين متقابلين، هما: ضمائر الحضور، وضمائر الغياب، ثم تتفرع ضمائر الحضور إلى ضمائر المتكلم، وهي مركز المقام الإشاري/ الباث/، وإلى ضمائر مخاطب يقابله في ذلك المقام، ويشاركه فيه/ المتقبل، وكل مجموعة منها تنقسم بدورها -حسب الجنس والعدد- إلى أقسامها المعروفة (عفيفي، 2001). (أداة على ذات، مثل: أنا/ أنت/ نحن/ هو/ هم/ هن...) وسواء أكانت الضمائر وجودية؛ أي ضمائر للمتكلم، أو للمخاطب، أو للغائب، أم ملكية؛ أي ضمائر للمتكلم، أو للمخاطب، أو للغائب، مثل: (كتابي/ كتابك/ كتابهم/

كتابنا...) فالضمائر الدالة، أو المحيلة إلى متكلم، أو مخاطب إنما تعد من قبيل الإحالة خارج النصّ، فالضمير (أنا، أو نحن)، فإنّه يصدق على ذات خارج النصّ، وكذلك عندما يخاطب الكاتب المتلقي، فيستخدم الضمير (أنت، أو أنتم، أو أنتن)، فإنه يحيل إلى مجموعة من الناس، هم أيضاً خارج النصّ؛ ولهذا لا يعول علماء اللغة النصّيون على هذه الضمائر في عملية الاتساق النصّي، إنّما الذي يعول عليه كثيراً هو ضمائر الغياب التي تميل -غالباً- إلى شيء داخل النصّ، وتكوّن إحالة نصية، ومن ثمّ تجبر المتلقي على البحث في النصّ عما يعود إليه الضمير، فيكون ذلك من قبيل الترابط النصّي (الزناد، 1991).

ووفق تقسيم الضمائر إلى ضمائر حضور، وضمائر غياب/ وجودية وملكية/ سيتوقف الباحث عند الإحالة بنوعيتها (المقامية/ النصّية)، مبرزاً دلالة هذه الضمائر، ودورها في التماسك النصّي في خطبة الإمام علي رضي الله عنه.

أ- الإحالة المقامية؛ وترجع إلى أمور تستنبط من الموقف، وليس من عبارات تشترك معها في الإحالة في النصّ أو الخطاب نفسه، وهذا النوع من الإحالة يمكن أن يحدث نوعاً من التفاعل بين النصّ أو الخطاب والموقف السياقي (الزناد، 1991). وقد افتتح الإمام خطبته بإحالة مقامية/ خارجية/ يمثلها ضمير المتكلم المضمر/ أنا/ والمخاطب/ كم/ في العنصر الإشاري في قوله: "وأحذركم"؛ إذ يحيل الضمير الأول (أنا) إلى العالم الخارجي، الذي يخص الإمام علي، مشعراً بأهمية المسؤولية الملقاة على عاتقه في تحذير الناس من الدنيا وغرورها وزينتها الخادعة وإرشادهم لما فيه الخير في آخرتهم، والعمل الدؤوب للأجلة والآخرة. وهذا ما توحى به دلالة الخطبة بصورة عامة، وما تومئ إليه مضامينها على وجه الدقة. كما يحيل الضمير الثاني (كم) إلى العالم الخارجي أيضاً الذي يشير إلى الناس المخاطبين.

ويمضي الإمام بعد هذا التحول (أحذركم) من ضمير المتكلم/ أنا/ إلى ضمير المخاطب الجمع في تتابع استعمال هذا الضمير في العناصر الإشارية الآتية في: "اجعلوا/ عليكم/ طلبكم/ أسألوه/ سألكم/ اسمعوا/ آذانكم/ بكم/ قلوبكم/ حضرتكم/ بكم/ أنتم/ بينكم/ توارزون/ تتاصحون/ تباذلون/ توادون/ بالكم/ ترحون/ تدركونه/ يحزنكم/ تحرمونه/ ويقلقكم/ يفونكم/ وجوهكم/ صبركم/ عنكم/ مقامكم/ عليكم/ أحذكم/ وهذه الضمائر تشكّل إحالة مقامية خارجية تحيل إلى خارج النصّ إلى العنصر الإشاري (الناس).

والجدول الآتي يوضح: المحال إليه، والألفاظ التي تشكّلت فيها الإحالة، ونوع الإحالة

المحال إليه	الألفاظ التي تشكّلت فيها الإحالة	نوع الإحالة
علي بن أبي طالب	أحذركم/ أنا	إحالة خارجية(مقامية)
الناس	أحذركم	إحالة خارجية(مقامية)
الناس	اجعلوا	إحالة خارجية(مقامية)
الناس	عليكم	إحالة خارجية(مقامية)
الناس	طلبكم	إحالة خارجية(مقامية)
الناس	اسألوه	إحالة خارجية(مقامية)
الناس	سألكم	إحالة خارجية(مقامية)
الناس	اسمعوا	إحالة خارجية(مقامية)
الناس	آذانكم	إحالة خارجية(مقامية)
الناس	بكم	إحالة خارجية(مقامية)
الناس	قلوبكم	إحالة خارجية(مقامية)
الناس	حضرتكم	إحالة خارجية(مقامية)
الناس	بكم	إحالة خارجية(مقامية)
الناس	بكم	إحالة خارجية(مقامية)
الناس	أنتم	إحالة خارجية(مقامية)
الناس	بينكم	إحالة خارجية(مقامية)
الناس	توارزون	إحالة خارجية(مقامية)
الناس	تتاصحون	إحالة خارجية(مقامية)

المحال إليه	الألفاظ التي تشكلت فيها الإحالة	نوع الإحالة
الناس	تبادلون	إحالة خارجية (مقامية)
الناس	توادون	إحالة خارجية (مقامية)
الناس	بالكم	إحالة خارجية (مقامية)
الناس	تفرحون	إحالة خارجية (مقامية)
الناس	تدركونه	إحالة خارجية (مقامية)
الناس	يحزنكم	إحالة خارجية (مقامية)
الناس	تحرّمونه	إحالة خارجية (مقامية)
الناس	يقلقكم	إحالة خارجية (مقامية)
الناس	يفوتكم	إحالة خارجية (مقامية)
الناس	وجوهكم	إحالة خارجية (مقامية)
الناس	صبركم	إحالة خارجية (مقامية)
الناس	عنكم	إحالة خارجية (مقامية)
الناس	مقامكم	إحالة خارجية (مقامية)
الناس	عليكم	إحالة خارجية (مقامية)
الناس	أحدكم	إحالة خارجية (مقامية)
الناس	تصافيتم	إحالة خارجية (مقامية)
الناس	أحدكم	إحالة خارجية (مقامية)

ولعلّ توالي هذه الضمائر سواء أكانت متصلة بالأسماء أم بالأفعال، يضيف على الخطبة خصوصية معينة تتعلق بالذات المرسلّة، تتمثل في وعيها بطبيعة الحياة الدنياء، وإدراكها لماهيتها الحقيقية بأنها "منزل قلعة، وليست بدار نجعة، قد تزينت بغرورها، دارها هانت على ربها...". وحرصه الشديد على تأكيد هذه المعاني في ذهن المتلقي، والتأثير في نفسه بغية حظه على الحذر من الدنيا، ولفت نظره لما هي عليه من الخداع والغرور، والهوان على ربها، وقلة شأنها لديه.

وإذا كانت هذه الإحالات المقامية/ الخارجية التي تحيل إلى خارج النصّ كما يشير الجدول، لا تسهم في تماسك النصّ، واتساق أجزائه بصورة مباشرة، على ما هي الحال في الإحالات النصّية الداخلية، إلا أنها تبرز الدور المشترك والتفاعلية بين المرسل/ الباث/ والمرسل إليه/ المخاطب/ وتربط الملفوظ الكلامي بالسياق المحيط به. ومن هنا تظهر قدرة ضمائر التكلم والخطاب؛ إذ تتضافر في ربط أجزاء النصّ؛ لتشكّل -في نهاية الأمر- نصّاً متماسكاً تركيبياً ودلاليّاً. وهذا يعني أن السياقين اللغوي والمقامي يتعاقدان في تماسك النصّ واتساق أجزائه. فالضمير المستتر، والمتصل في الفعل "أحدركم" ربطا النصّ ربطاً كاملاً بالمرسل/ الإمام علي/ والمرسل إليه/ المتلقي/ الناس، وأيضاً ربطا السياقين الخارجي والداخلي معاً.

ولعل تكرار ضمير المخاطب (34) أربعاً وثلاثين مرة يشي بحرص المرسل على المخاطب، والخوف عليه، وبالتالي جاء التكرار؛ ليكشف عن الذات المأزومة بهوم الآخرين، فضلاً عن إحداث النغمة الصوتية التي تأنس لها النفس، ويطمئن لها الفهم، فتظل مشدودة إلى ما يقوله المرسل.

ويتبدى مما سبق أن للإحالة المقامية قدرة على تكثيف الدلالات، وتوليد المعاني، وأن المرسل/ علياً/ هو الذي يتكلم ويسرد ويتنبأ، والمتلقي يصفون ويستمعون إليه، وعلى درجة الإصغاء يكون التأثير والاستجابة.

ب- الإحالة النصّية؛ أي ما يحيل إلى عنصر لغوي داخل النصّ، وتتنوع لتكون بين ضمير وكلمة، أو كلمة وأخرى، أو بين عبارة وكلمة... ومن ذلك قوله: "وأحدركم الدنيا فإنها منزل قلعة، وليست بدار نجعة، قد تزينت بغرورها، وغرت بزينتها. دارها هانت على ربها، فخلط حلالها بحرامها، وخيرها بشرها، وحياتها بموتها، وحلوها بمرها. لم يصفها الله تعالى لأوليائه، ولم يرض بها على أعدائه، خيرها زهيد وشرها عتيد، وجمعها ينفذ، وملكها يسلب، وعامرها يخرب. فما خير دار تنقض نقض البناء، وعمر يفنى فيها فناء الزاد، ومدة تنقطع انقطاع السير!... واسألوه من أداء حقه...".

فالضمائر في: "فإنها/ ليست/ تزينت/ بغرورها/ غرت/ بزینتها/ دارها/ هانت/ ربه/ حلالها/ حرامها/ خيرها/ شرها/ حياتها/ موتها/ حلوها/ مرها/ يصفها/ خيرها/ شرها/ جمعها/ ملكها/ عامرها/ تنقض/ فيها" فهذه الضمائر (الغائب) المتكررة تحيل إلى محال إليه واحد، وهو الدنيا الواردة في قوله: "وأحذركم الدنيا فإنها"... إلخ فهي تتطابق تطابقاً تاماً مع لفظة الدنيا، وتعود عليها. وكلها إحالات سابقة، راجعة إلى محال إليه سابق على الضمير لفظاً ورتبة. / تعود على مفسر سبق التلفظ به. وكذلك ضمائر الغائب في: "خلط/ أوليائه/ يطن/ أعدائه/ أسألوه/ حقه/ سألكم" فالضمائر تحيل إلى محال إليه واحد هو لفظة "الله" الواردة في قوله: "لم يصفها الله تعالى لأوليائه"

وكذلك في قوله: "واسمعوا دعوة الموت أذانكم قبل أن يدعى بكم. إن الزاهدين في الدنيا تبكي قلوبهم وإن ضحكوا، وبشتد حزنهم وإن فرحوا، ويكثر مقتهم أنفسهم وإن اغتبطوا بما رزقوا. قد غاب عن قلوبكم ذكر الآجلة، وحضرتكم كواذب الآمال، فصارت الدنيا أملك بكم من الآخرة، والعاجلة أذهب بكم من الآجلة. وإنما أنتم إخوان على دين الله، ما فرق بينكم إلا خبث السرائر، وسوء الضمائر. فلا توازرون ولا تتاصحون، ولا تبادلون ولا توادون. ما بالكم تفرحون باليسير من الدنيا تدركونه، ولا يحزنكم الكثير من الآخرة تحرمونه! ويقلقكم اليسير من الدنيا يفوتكم، حتى يتبين ذلك في وجوهكم، وقلة صبركم عما زوي منها عنكم! كأنها دار مقامكم، وكأن متاعها باقٍ عليكم. وما يمنع أحدكم أن يستقبل أخاه يخاف من عيبه إلا مخافة أن يستقبله بمثله. قد تصافيتم على رفض الآجل وحب العاجل، وصار دين أحدكم لعقة على لسانه، صنيع من فرغ من عمله، وأحرز رضى سيده. " فالضمائر في: "يدعى/ العائد إلى الموت/ قلوبهم/ ضحكوا/ حزنهم/ فرحوا/ مقتهم/ أنفسهم/ اغتبطوا/ رزقوا/ العائد إلى الزاهدين/ تدركونه العائد إلى اليسير/ تحرمونه العائد إلى الكثير/ يفوتكم العائد إلى اليسير/ كأنها/ متاعها/ العائدان إلى الدنيا/ باق/ العائد إلى متاع/ أخاه/ يخاف/ العائد إلى أحدكم/ يستقبله العائد إلى أخاه/ بمثله العائد إلى عيبه/ لسانه/ العائدان إلى أحدكم/ فرغ/ أحرز/ العائدان إلى من " وكلها ضمائر غياب، وإحالات قبلية/ سابقة/ تعود على عنصر سبق التلفظ به.

والجدول الآتي يوضح: المحال إليه، والألفاظ التي تشكلت فيها الإحالة، ونوع الإحالة.

المحال إليه	الألفاظ التي تشكلت فيها الإحالة	نوع الإحالة
الدنيا	فإنها	إحالة داخلية (نصية)
الدنيا	ليست	إحالة داخلية (نصية)
الدنيا	تزينت	إحالة داخلية (نصية)
الدنيا	بغرورها	إحالة داخلية (نصية)
الدنيا	غرت	إحالة داخلية (نصية)
الدنيا	بزینتها	إحالة داخلية (نصية)
الدنيا	دارها	إحالة داخلية (نصية)
الدنيا	هانت	إحالة داخلية (نصية)
الدنيا	ربه	إحالة داخلية (نصية)
الدنيا	حلالها	إحالة داخلية (نصية)
الدنيا	حرامها	إحالة داخلية (نصية)
الدنيا	خيرها	إحالة داخلية (نصية)
الدنيا	شرها	إحالة داخلية (نصية)
الدنيا	حياتها	إحالة داخلية (نصية)
الدنيا	موتها	إحالة داخلية (نصية)
الدنيا	حلوها	إحالة داخلية (نصية)
الدنيا	مرها	إحالة داخلية (نصية)
الدنيا	يصفها	إحالة داخلية (نصية)
الدنيا	خيرها	إحالة داخلية (نصية)
الدنيا	شرها	إحالة داخلية (نصية)
الدنيا	جمعها	إحالة داخلية (نصية)
الدنيا	ملكها	إحالة داخلية (نصية)

المحال إليه	الألفاظ التي تشكلت فيها الإحالة	نوع الإحالة
الدنيا	عامرها	إحالة داخلية (نصية)
الدنيا	تتقض	إحالة داخلية (نصية)
الدنيا	فيها	إحالة داخلية (نصية)
ريها	خلط	إحالة داخلية (نصية)
الله	أوليائه	إحالة داخلية (نصية)
الله	يضمن	إحالة داخلية (نصية)
الله	أعدائه	إحالة داخلية (نصية)
الله	اسألوه	إحالة داخلية (نصية)
الله	حقه	إحالة داخلية (نصية)
الله	سألکم	إحالة داخلية (نصية)
الموت	يدعي	إحالة داخلية (نصية)
الزاهدين	ضحكوا	إحالة داخلية (نصية)
الزاهدين	حزنهم	إحالة داخلية (نصية)
الزاهدين	فرحوا	إحالة داخلية (نصية)
الزاهدين	مقتهم	إحالة داخلية (نصية)
الزاهدين	أنفسهم	إحالة داخلية (نصية)
الزاهدين	اعتبطوا	إحالة داخلية (نصية)
الزاهدين	رزقوا	إحالة داخلية (نصية)
اليسير	تدركونه	إحالة داخلية (نصية)
اليسير	يفوتكم	إحالة داخلية (نصية)
الكثير	تحرّمونه	إحالة داخلية (نصية)
الدنيا	كأنها	إحالة داخلية (نصية)
الدنيا	متاعها	إحالة داخلية (نصية)
متاع	باق	إحالة داخلية (نصية)
أحدكم	أخاه	إحالة داخلية (نصية)
أحدكم	يخاف	إحالة داخلية (نصية)
أحدكم	لسانه	إحالة داخلية (نصية)
أخاه	يستقبله	إحالة داخلية (نصية)
عبيه	بمثله	إحالة داخلية (نصية)
فرغ	مَنْ	إحالة داخلية (نصية)
أحرز	مَنْ	إحالة داخلية (نصية)

ويتضح مما سبق أن الإحالة النَّصِّيّة يتجلى حضورها بصورة واضحة، لما لها من أثر فاعل في تحقيق تماسك الخطبة واتساق أجزائها، وبالتالي تحققت سمة النَّصِّيّة فيها، وربط جملها اللاحقة بالسابقة، مشكلة -في نهاية المطاف- خطاباً لغوياً متناغماً ومنسجماً، لا اضطراب أو قلق فيه. علاوة على أنّ الضمائر في الألفاظ التي تشكلت فيها الإحالة أغنت عن تكرار هذه الألفاظ بثلاث وخمسين مرة محققة بذلك مبدأ الاقتصاد اللغوي، الذي يضفي جمالية فنية على التعابير والتراكيب اللغوية، بعيداً عن الركاقة والضعف اللذين ينجمان عن التكرار غير المرغوب فيه. فالضمائر المعوّضة عن تكرار هذه الألفاظ يكتفى بها لفهم المعنى المستوحى والمقصود منها.

ويتبين أيضاً أنّ تكرار هذه الإحالات قد جسد بنية دلالية -في غاية الأهمية- تشعر بهوان الدنيا لدى الإمام علي - رضي الله عنه - وأنها ليست بذات بال عنده، فقد زهد فيها واقعاً، ولم يلتفت إلى متاعها وزخرفها، فلم تغره كما أغرت غيره، إذ عاش رضي الله عنه -بعيداً عن كلّ ما يطمئن ويرتاح إليه المرء من مطعم ومأكّل ومشرب ومأوى، وكذلك حال الزاهدين ومن سلك طريقه. وما

هوانها لديه إلا لأنها هانت على ربه عز وجل، فهي لا تعدل عنده جناح بعوضة.

ولدى إنعام النظر الإحالتين النصية والمقامية، فإن الإحالة النصية قد تكررت ثلاث وخمسين مرة؛ أي ما نسبته 61%، بينما تكررت الإحالة المقامية 34%؛ أي ما نسبته 39%، وهذا يدل على الدور الذي تقوم به الإحالة النصية في التثام النص والتحام أجزائه بعضها ببعض؛ مما يفضي إلى نص يتسم بالبلاغة والتأثير في نفسية المتلقي، سواء أكان قارئاً أم مستمعاً .

الملحظ الثاني:

العطف (CONJUNCTION)

وهو تابع يتوسط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف (دي بوجراند، 1998)؛ أي ما يطلق عليه عطف النسق، ويعد من آليات السبك المهمة، والأكثر شيوعاً في النثر والشعر على حد سواء؛ إذ يربط بين ألفاظ النصّ وجمله، فالجمل "يتبع بعضها بعضاً وفقاً لنظام سديد، بحيث تسهم كلّ جملة في فهم الجملة التي تليها فهماً معقولاً، كما تسهم الجملة التالية من ناحية أخرى في فهم الجمل السابقة عليها فهماً أفضل (ابن عقيل، 1980) وما يمنح هذه الجمل التتابع القوي، والترابط المحكم ما تمتلكه من روابط، سواء أكانت معنوية أم لفظية، فالكلام "لا يكون مفيداً، إذا كان مجتمعاً بعضه مع البعض الآخر دون ترابط (العبد، 1989).

وتمثل أدوات العطف إحدى آليات التماسك النصّي الداخلية التي "تسمح بالإشارة إلى مجموعة المتواليات السطحية بعضها ببعض، بطريقة تسمح بالإشارة إلى هذه المتواليات النصّية (حماسة، 1996)" ويجمع العطف عدداً من الجمل في نسق مترام (عفيفي، 2001).

ويقوم العطف بتوليد علاقات دلالية أفقية على مستوى الجملة، وعلاقات دلالية رأسية بين الفقرات في بنية النصّ، علاوة على أنه يربط بين الجمل على المستوى الخطي، فأدوات العطف تجعل من المتواليات الجمالية مساراً خطياً متماسكاً ومتناغماً (خليل، 2003).

والعلاقات التي يمكن أن تؤديها أدوات العطف تتمثل في أربعة معان، أطلق عليها بوجراند أنواعاً من الربط، وما يهمنها منها: 1- مطلق الجمع، حيث يربط بين صورتين أو أكثر من صور المعلومات بالجمع بينهما؛ إذ تكونان متحدتين من حيث البيئة أو متشابهتين ولعل الأداة المناسبة للجمع بين أشئان متباعدة دلالياً، هي حرف العطف الواو .

2- التفرع (SUBORDINATION)، ويشير إلى أنّ العلاقة بين صورتين من صور المعلومات هي علاقة التدرج؛ أي أن تحقق إحدهما يتوقف على حدوث الأخرى؛ إذ يساهم في إحداث الالتحام النصّي (حماد، 2013) ومن الجلي أن "الفاء"، و"ثم" يمكن أن تستخدم في إحداث هذا النمط من الربط.

وما ورد من حروف العطف في خطبة الإمام علي رضي الله عنه-: "الواو"، حيث وردت الواو حرف عطف (28) ثمانية وعشرين مرة.

والجدول الآتي يوضح حرف العطف (الواو)، والموضع الذي ورد فيه، والمعنى الذي أداه.

حرف العطف	الموضع الذي ورد فيه	المعنى الذي أداه
الواو	فإنها منزل قلعة، وليست بدار نجعة قد تزينت بغرورها، وغرت بزینتها فخلط حلالها بحرامها، وخيرها بشرها، وحياتها بموتها، وحلوها بمرها. لم يصفها الله تعالى لأوليائه، ولم يرض بها على أعدائه خيرها زهيد، وشرها عتيد. وجمعها ينفذ، وملكها يسلب، وعامرها يخرب... وعمر يفنى... ومدة تتقطع. اجعلوا ما افترض... واسألوه... إن الزاهدين... تبكي قلوبهم، ويشند حزنهم... ويكثر مقتهم أنفسهم...، وحضرتكم... والعاجلة...، وسوء الضمائر. فلا توازرون، ولا تناصحون، ولا تباذلون، ولا توادون...، ولا يحزنكم الكثير...، ويقلقكم اليسير...، وقلة صبركم...، وكأن...، وحب العاجل، وصار... فرغ من عمله، وأحرز...	مطلق الجمع؛ أي "إشراك الثاني فيما دخل فيه الأول، وليس فيها دليل على أيهما كان أولاً" (دي بوجراند، 1998)

ويتبدى من الجدول السابق أنّ حرف العطف (الواو)، التي تؤدي وظيفة الربط بين المعطوف والمعطوف عليه، دون أن تقتصر بدلالة الزمن النحوي، هي أكثر حروف العطف دوراً واستعمالاً إنّ في الشعر أو النثر، وأنها كما يرى فان دايك (VAN DIJK) الرابط الوحيد الذي يمكن أن يعبر عن مختلف أنواع الربط (الزمني / المكاني / العلي)، وقد يصير له معنى عام أو معنى (محايد) (دي بوجراند، 1998)

وتظهر أهميتها في الربط بين الجمل، فانساق الجمل داخل بنية النصّ ناجم عن هذا الحرف، فعلى سبيل المثال، يلحظ ذلك جلياً في قول الإمام علي: "خيرها زهيد، وشرها عتيد، وجمعها ينفد، وملكها يُسلب، وعامرها يخرّب" فقد قام هذا الحرف بربط الجمل بعضها ببعض، وقوى التحامها، وجعلها متسلسلة تسلسلاً منطقياً، عكس عقلية المرسل المنطقية، وذهنيته الحاضرة، وحسه اللغوي الدقيق. ويمكن أن يستشف من خلال تكرار حرف العطف الواو، والذي تكرر ثماني وعشرين مرة؛ لما يقوم به من دور في توليد علاقات دلالية أفقية تعنى بمستوى الجملة، وأخرى رأسية تمس بنية النص؛ بحيث يكون النص جملاً وفقراً ذا مسار خطي متماسك.

الملحظ الثالث:

الحذف (ELLIPSIS)

وهو: "إسقاط عنصر من عناصر النصّ سواء كان كلمة أو جملة أو أكثر، على أن يكون الإسقاط لغرض من الأغراض البيانية، مع وجود قرينة تدل على ذلك" (المرادي، 1992)، وكأنّه "تأتج عن أنّ المعنى المفهوم في كل موضع زائد على عناصر اللفظ المذكورة (دايك، 2000)، فهو إذن "استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن، أو أن يوسع، أو أن يعدل بوساطة العبارات الناقصة" (خلف، 2009)، وعلى هذا تكون البنية السطحية لأي نص غير مكتملة -غالباً- على الرغم مما يبدو في تقدير المتلقي (حمودة، 1998)؛ إذ "ترى في الجملة التي تحتوي على الحذف فراغاً بنيوياً يهتدي القارئ إلى ملئه اعتماداً على ما ورد في النصّ، أو الجملة السابقة عليها" (دي بوجراند، 1998).

ويعدّ الحذف آلية من آليات التماسك النصي، وتكتشف دلالاته، وإبراز قيمته الجمالية الفنية؛ إذ ينأى بالنصّ عن الحشو والزيادة المخلين بالصيغ والتركيب اللغوية البليغة، علاوة على أنه عامل تنشيط وتحفيز للمتلقي، من خلال البحث عن العنصر اللغوي المحذوف، أكان اسماً أم فعلاً أم حرفاً أم جملة، ثم ملئه في مكانه الصحيح.

ومن المواضيع التي ورد فيها الحذف في خطبة الإمام علي قوله: "ليست بدار نجعة، قد تزينت بغرورها، وغرت بزینتها، دارها هانت على ربها، فخلط حلالها بحرامها، وخيرها بشرها، وحياتها بموتها، وحلوها بمرها... ولم يضمن بها على أعدائه... فما خير دار تنقض نقض البناء، وعمر يفنى فيها فناء الزاد، ومدة تتقطع انقطاع السير" فقد حذف اسم ليس المضمّر العائد على الدنيا؛ أي ليست هي/ الدنيا بدار نجعة، كما حذف الفاعل في: "تزينت/ غرت هانت" المضمّر العائد على الدنيا؛ أي تزينت هي/ الدنيا، وكذا الحال في سائر الجمل. وأيضاً حذف الفاعل المستتر العائد على الله تعالى في "فخلط" وأيضاً حذف الفعل والفاعل المقدرين بـ "خلط" هو/ الله؛ أي خلط الله خيرها وشرها/ خيرها بشرها/ وحياتها بموتها/ حلوها بمرها. كما حذف الفاعل في المضارع/ يضمن/ في "ولم يضمن بها... "المقدر بـ "هو" العائد إلى لفظ الجلالة الله.

ويلحظ الحذف في "فصارت الدنيا أملك بكم من الآخرة، والعاجلة أذهب بكم من الآجلة"، حيث حذف الفعل الناقص (صار) من الجملة الثانية لدلالة الفعل عليه في الجملة التي سبقتها. وحذف ما النافية مع الفعل فَرَق وأداة الحصر إلّا لوجود قرينة تدل عليها في الجملة السابقة، وذلك في قوله: "ما فَرَق بينكم إلّا خبث السرائر، وسوء الضمائر"؛ أي وما فرق بينكم إلّا سوء الضمائر. وحذف الجملة الاسمية المقدرة بـ "ما بالكم" في قوله: "ولا يحزنكم الكثير من الآخرة تحرمونه"؛ أي ما بالكم لا يحزنكم الكثير... وكذا في الجملة التي بعدها "ويقلقكم اليسير من الدنيا..."

والجدول الآتي يوضح المحذوف، ونوعه، والجملة التي تضمنت الحذف

المحذوف	نوعه	الجملة التي تضمنت الحذف
هي/ الدنيا	اسم ليس	ليست بدار نجعة
هي/ الدنيا	الفاعل	تزينت
هي/ الدنيا	الفاعل	غرت
هي/ الدنيا	الفاعل	هانت

المحذوف	نوعه	الجملة التي تضمنت الحذف
هو/ لفظ الجلالة (الله)	الفاعل	فخاط
خلط+هو/ لفظ الجلالة (الله)	فعل+فاعل	... خيرها بشرها
خلط+هو/ لفظ الجلالة (الله)	فعل+فاعل	... وحياتها بموتها
خلط+هو/ لفظ الجلالة (الله)	فعل+فاعل	... حلوها بمرها
هو/ لفظ الجلالة (الله)	الفاعل	ولم يضمن بها
صارَت	الفعل الناقص	و/ صارَت/ العاجلة أذهب بكم من الآلة
فرق+بينكم+إلا	الفعل الماضي+شبه جملة+أداة حصر	و/ ما فرق بينكم إلا/ سوء الضمائر
ما بالكم	الجملة الاسمية	ما بالكم/ لا يحزنكم...
ما بالكم	الجملة الاسمية	ما بالكم/ لا يقلقكم...

ويتضح ممّا سبق أنّ المبدع يلجأ إلى الحذف بدافع الاختصار والإيجاز والتكثيف والبعد عن الإطالة والإسهاب المخل ببناء الجمل، فالبلاغة الإيجاز، علاوة على أنّ الحذف يطرد الملل عن المتلقي، من خلال الاستغناء عن جزء من الكلام لدلالة السياق عليه، كما أن تقديم الفكرة بإيجاز ولمحة سريعة اقتصاد بالتعبير، وتقدير للمتلقي قبل أن ينقضي نشاطه. ولعل إسقاط عنر أو أكثر من عناصر النص المتقدم مع وجود قرينة تدل عليه، تدل على أن المعنى مفهوم في كل موضع استغني فيه عن العنصر المحذوف، فالبنية السطحية مكتملة في غياب هذا العنصر المحذوف، ومن السهل على المتلقي إدراكه. **الخاتمة**

لقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج، لعل أبرزها ما يلي:

أولاً: لم تعد الجملة المقياس الوحيد والحقيقي في تلقي الخطابات اللغوية، فقد أثبتت الدراسات النصّية ونحو النصّ أن الجملة هي وحدة نحوية غير مستقلة بالمطلق، وأنّ استقلاليتها نسبية، فالنصّ يشكل وحدة دلالية كلية؛ وذلك من خلال شبكة العلاقات التي تربط أجزائها بعضها ببعض. وتسهم الروابط، أيّا كانت، إنّ على مستوى السطح، أو قارة في أعماق بنى النصّ الداخلية، في التّام النصّ وسبكه سبكاً متيناً.

ثانياً: كانت الإحالة بالضمائر ظاهرة لغوية بارزة في النصّ، فالإحالة بالضمائر من أكثر الإحالات دوراناً واستعمالاً في الخطاب اللغوي، كما أنها من الأكثر قدرة في خلق التماسك الدلالي؛ لأنها تقرن بين الربط الرصفي والربط المفهومي. وتتطلب الإحالات، لا سيما النصية حساً لغوياً مرهفاً؛ لأنها قد تكون قريبة المأخذ؛ وعندئذ لا يؤمن اللبس والإبهام في تلمس الإحالة، وقد بلغت الإحالة النصية ما يقارب ضعف الإحالة المقامية تقريباً؛ نظراً لأهميتها في إيجاد نص على مستوى عالٍ من البلاغة.

ثالثاً: روابط العطف آلية فاعلة من آليات التماسك النصّي التي لا تقل أهمية عن غيرها من الأدوات، والتكرار، والحذف إذ تكرر (28) ثماني وعشرين مرة، كما تسهم في ترتيب الأحداث وتسلسلها تسلسلاً منطقياً محكماً؛ لما له من دور فاعل في ربط جمل النص وفقراته.

رابعاً: يعمد - رضي الله عنه - إلى توظيف تقنية الحذف لغايات بلاغية وفنية جمالية، تتغيا الاختصار والإيجاز وتنشيط خيال المتلقي وتحفيز ذاكرته، وطرد الملل عن نفسه، حيث حذف الفاعل ثماني مرات للعلم به ممّا نأى بالنص عن الترهل، وتجنب التكرار المخل بتماسك النص وتناغم أجزائه

خامساً: تضافرت آليات السبّك (الإحالة/ واو العطف/ الحذف) في اتساق الخطبة وانسجامها وتناغمها وربط اللاحق بالسابق منها، مما أضفى إلى نص لغوي منسبك بليغ معهود في خطب الإمام علي بن أبي طالب.

المصادر والمراجع

ابن أبي طالب، علي. (2004): نهج البلاغة، ط4، القاهرة، دار الكتاب المصري، بيروت، دار الكتاب اللبناني.
ابن عقيل، عبدالله بن عقيل. (1980): شرح ابن عقيل ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، ط20، القاهرة.
ابن منقذ، أسامة. (ت584هـ): البديع في نقد الشعر، تحقيق: أحمد أحمد بدوي، وحامد عبدالمجيد، مراجعة: إبراهيم مصطفى، منشورات البابي الحلبي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

- أنيس، إبراهيم. (1978): من أسرار اللغة، ط6، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- بحيري، سعيد حسن. (1997): علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات، ط1، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان -، القاهرة.
- بروان، ج. ب، بول، ج. (1997): تحليل الخطاب، ط1، الرياض، جامعة الملك سعود.
- حماد، خ. (2012): أثر العطف في التماسك النصّي في ديوان علي صهوة الماء للشاعر مروان جميل محيسن، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، مج 20، ع2.
- حماسة، محمد. (1996): بناء الجملة العربية، ط1، القاهرة، دار الشروق.
- حمودة، طاهر سليمان. (1998): ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ط1، الإسكندرية الدار الجامعية للطباعة .
- خطابي، محمد. (1991): لسانيات النصّ (مدخل إلى انسجام الخطاب)، ط1، بيروت، الدار البيضاء.
- خلوصي، صفاء. (1977): فن التقطيع الشعري والقافية، ط5، بغداد، مكتبة المثنى.
- خلف، مصطفى شاهر. (2009): أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز، ط1، عمان، دار الفكر.
- خليل، إبراهيم محمود. (2003): النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، ط1، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع.
- دايك، فان. (2000): النصّ والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ط1، بيروت دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء.
- دي بوجراند، ولفانغ. (1992): مدخل إلى علم لغة النصّ، ط1، نابلس، مطبعة دار الكتاب.
- دي بوجراند، ولفانغ ديلر. (1998): النصّ والخطاب والإجراء، ط1، القاهرة، عالم الكتب.
- الزناد، الأزهر. (1991): نسيج النصّ، بحث في ما يكون الملفوظ نصّاً، ط1، بيروت، الدار البيضاء.
- العبد، محمد. (1989): اللغة والإبداع الأدبي، ط1، القاهرة، دار الفكر للدراسات والتوزيع.
- عبدالمجيد، جميل. (1998): البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصّية، ط1، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- عبيد، محمد صابر. (2001): القصيدة العربية الجديدة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية حساسية الإنبثاق الشعرية الأولى جيل الرواد والستينات، ط1، دمشق، اتحاد الكتاب العرب.
- العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبدا لله بن سهل. (1005): كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، (د.ط)، (د.ت)، القاهرة، منشورات مصطفى البابي الحلبي.
- عفيفي، أحمد. (2001): نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحوي، ط1، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق.
- فراج، حسام أحمد. (2007): نظرية علم النصّ رؤية منهجية في بناء النصّ النثري، ط1، القاهرة مكتبة الآداب.
- فضل، صلاح. (1992): بلاغة الخطاب وعلم النصّ، ع164، الكويت عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- الفاقي، صبحي إبراهيم. (2000): علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكتبة، ط1، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
- قياس، ليندة. (2009): لسانيات النصّ النظرية والتطبيق، ط1، القاهرة، مكتبة الآداب.
- المرادي، الحسن بن قاسم. (1992): الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
- مصلوح، سعد. (1991): نحو أجرومية للنص، دراسة في قصيدة جاهلية، مج1، القاهرة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ع(2+1).

Text coherence mechanisms (Assabak as a sample) in the Sermon of vilification of the worldly life of Imam Ali ibn Abi Taleb (may Allah be blessed with him)

*Majed Mohammed Albaharat **

ABSTRACT

This study examines the mechanisms of textual coherence (*al-Sabk*) in one of Imam Ali bin Abi Taleb's sermons "*Tham Al Dunya*" (Underestimating Life). This study consists of an introduction, body and three statements. The introduction includes the purpose, significance, problem and methodology of the study and literature review as well. The body introduces the concept of grammatical and lexical cohesion. The first statement presents the meaning of *exopheric* and *endopheric* reference and their role in creating textual unity. The second statement presents the meaning of the coordinating conjunction "wa" and its function in connecting sentences. The third statement introduces the concept of omission and its aesthetic significance in making textual coherence. The study concludes that this sermon is characterized by textual coherence and unity.

Keywords: Textual coherence, "Underestimating life," Ali Bin Abi Talib, reference, coordinating conjunction, omission.

* Language Center, The University of Jordan. Received on 28/5/2018 and Accepted for Publication on 6/3/2019.